

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على خاتم النبيين .

أما بعد : فحينما عُهد إلىَّ بهذا الكتاب « كتاب الروض الأنف » لتحقيقه توجهت إلى الله بالضراعة أن يهدى فكرى إلى الحق الجليل ، والصدق النبيل ، والصواب الجميل ، وأن يلمنى البيان الذى يرف بوضاء الحق ، وإشراق الجمال ، وأن يجعل من عملى فى الكتاب صالحة أبلغ بها من رضوانه رزقا كريما به تنعم الروح ، وتهنأ النفس ، وتجمل الحياة فى الأولى والآخرة .

ليس تحقيق هذا الكتاب بالعمل الهين ، فهو عن النبي العظيم الذى به مُختمت النبوات ، والإنسان الذى أشرقت الإنسانية فيه بكاملها الأعظم ، والذى يعتبر تاريخه بعد الوحى هو تاريخ التطبيق الحق لما جاء به القرآن ، كما قالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - حين سُئلت عن خُلُقِ النبي ، فقالت :

« كان خاتمه القرآن »

ثم هو من تأليف إمام أندلسى كبير ذهب آراؤه - فى دين كثير من الناس - مذهب الحجة الناصعة التى لا يجوز أن تُنتلق إلا بالإذعان ، ومذهب البرهان الذى يشع منه فلقُ الصبح الوضى .

إمام بسط سلطانه القوى على الكثير من أئمة الدين في عصره وبعد عصره - لما ذهب إليه في كتابه «الروض الأنف» - التهيمنة على من قاموا بشرح السيرة، أو الحديث عنها بعده؛ لأنه احتشد لهذا الكتاب بكل ما كان عليه من علم وذكاء ومعرفة وريضة، فأودعه كل هذا، فكان أشبه «بدائرة معارف» في السيرة والتاريخ والحديث والفقه والنحو واللغة.

والكتابُ شرح لسيرة «ابن هشام» وحسبنا أن نذكر هذا؛ فسيرة ابن هشام أجلُّ من أن تُعرَّف، فلوئفها - أو لمهذبها - المكانة الممتازة التي تتألق على فزا التاريخ بآياتها الباهرة.

وأنت في هذا الكتاب تجد نفسك بين عاطفة تتوهج بالأشواق، وعقل يرصدُ أفق الحقيقة، عاطفة قد لا يُبدي ظمأها إلا تهويلات الخرافات، وتهويلات الأساطير، وعقل يستشرف الحق عُلوِّ السلطان، وقد جعله الإيمان ذارغبة في أن يكون هذا الحق في وضوحه جلالاً صريحاً ناضجاً، وألَّق نوراً زكى باهر.

ثم أنت أيضاً قبل هذا تحت سلطان عقيدة هي المثل الأعلى للحق في صفاته وجماله وجلاله. عقيدة لا يلمح أحد في حقائقها الإلهية إثارة ما من خيال يفتنه بسعره وشعره، وإنما يرى نورا وحياءً بهما يكون النور، وتكون الحياة لكل مسلم، لأن هذه العقيدة حق من حكيم حميد.

ثم أنت - أيضاً - أمام نصوص انتقلت إلينا عبر قرون. والأمانة تفرض علينا أن نبقيا كما هي، لتعرف الحقيقة غير مشوبة بشيء. فهذا هو الواجب في تحقيق التراث، فلا ينزع بنا الهوى إلى تحريف أو تبديل، فنعيد مأساة التراث حين استخفَّت به اللمنة اليهودية، فقيرت معالمة، وأحالتها أنشاجا

من الحق والباطل ، ومن الإيمان والكفر ، ومن وحى الرحمن ، ووسوسة الشيطان ، ثم أظهرته في عماية التاريخ تزعم أنه مُطَّيَّب بروح السماء . وإذا كان هذا هو المفروض علينا حيال أى تراث ، فما بالنا ونحن مع تراث يقص سيرة النبوة الخاتمة ، سيرة الإنسانية الكاملة ، وهى تسلك السبيل الأقوم على نور الوحي وهدايته ، سيرة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو يطبق القرآن أولاً ، تطبيق وأعظم تطبيق ليكون للبشرية المؤمنة شرعاً ومنهاجاً ، يطبقه في اعتقاده وعبادته وخلقته ، وسلوكه في الحياة . كل هذا في أصدق إيمان ، وأشرف إرادة ، وأقدس غاية ونية ، فكانت سنته - عليه الصلاة والسلام - الآية على السلوك الذى به تهتدى وتشرف الحياة ، وتضىء بأعظم القيم .

وكانت سيرته السيرة التى تجذب إليها بالحب الصدوق ، والإعجاب الودود كل مشاعر النفس ونوازع الحس ، وتفرض بالحب على الفكر الحر الذى لم تُزرغه حمية جاهلية ، أو ضلالة صليبية أن يسجد خاشعاً لله الذى خلق هذا الإنسان ، واصطفاه خاتماً للنبيين .

فإذا وجدنا نصوص التراث آيات حقّ أحببنا التراث وأكبرناه ، وإذا لم نجده كذلك فإذا فعل ؟ هذا بعض ما يُعرض من قضايا أمام العقل والقاب ، ولقد استهديت - للفصل فيها فصلاً قوياً - بهدى القرآن ، فإننا نراه يقص علينا مفتربات عبدة الهوى والإثم . ثم يكرعها بالحجة التى تزهد الباطل ؛ لهذا تركت النص كما هو في شعور جملنى أو من أننى لو نلت منه - حين يصدم ما أدين به - فإنى أنال من قدسية الحقيقة . هذا والإنسان الذى يكتب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخشى على نفسه أن تجمع به عاطفة مشبوبة أو مجنونة تسجرها خلافة التصورات التى ينتن بها الهوى عبيده ، أو يخشى عليها من شغل الفكر المغرور بنفسه ، فإن استبدت تلك العاطفة بزمامه استهواه

الشیطان واستغواه ، واستزله إلى عبادة وهم أسطوري سحری الأصبغ والألوان
یسمیه له محمدا !! واصفا إياه له بما لله وحده من صفات كما صنع الصوفیون
الإشراقیون أمثال السهروردي المقتول ، والحلاج وابن عربي والجليلي وابن
سبعین والصدر القونوی ، وغيرهم ممن حكموا على محمد أنه هو الله ذاتا وصفة
وربوبية وألوهية ، أنه هو الحق والخلق ، والرب والعبد ، أنه هو الوجه الإنساني
للحقیقة الإلهية ، أو أنه المظهر البشري لماهية الربوبية ، أو أنه حقیقة الوجود
المطلق في إطلاقه وعماؤه وتجلياته وتعييناته وسرمديته وديموميته . وقد لا يستزله
الشیطان إلى أعماق هذه الهاوية ، وهو يكتب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيجمله
على أن يؤكد بألفاظه أنه يدين بالفصل بين الوجودات ، فيدين بوجود حق ،
ويدين بوجود خاق . بوجود رب ، ووجود عبد ، ولكنه يضيف إلى هذا الذي
تسمیه عبدا أسماء وأفعالا تجعلك ترى ربا لاعبدا ، وخالقا لخالقا . إنه يزعم
أن الله صرف محمدا ، أو غيره في شئون خلقه ، ووهب له تدبير شئون الملك
والملكوت ، والجبر والجبروت !! هذا الإنسان الذي يكتب هذا أو يتصوره
إما خادع بنفاق ، وإما مخدوع بنفاق !! لقد فصل لغويا بين لفظين هما : رب وعبد ،
وبين اسمين هما : الله ومحمد ، وظن أنه بهذا الفصل اللغوي قد نجح مع الإيمان من
الكفر ، ومع التوحيد من الشرك . غير أنك حين تبثلي ما يهتكه في محمدا
وما يكتبه عن محمد عبدا ورسولا ، تجده يسوي في اعتقاده تسوية تامة بين محمد
وبين الله . لقد خدعه الشيطان عن قتلته ، فظن أنه أحياء ، ورشف من يديه كأس
السعادة والخلود !! إن مصيره مع نفس تلك المصائر التي تردى فيها كهنته من
قبل كابن عربي وتلاميذه .

إنك حين تقرأ لابن عربي فصوص الحكم ، ولابد الكريم الجليلي كتابه
الموسوم بالإنسان الكامل ولابن الفارضي تأنيته الكهري التي تدنو من

سبعائة بيت ، ستجد نعيم الحقد ، ونعيم الوثنية ، مُصَوَّرِينَ نفات محبة ،
وتسبيحات توحيد ، وحفيف أجنحة الملائكة في فجر الحارِب .

ستجد الزعم بأن فرعون هو الله حِكْمَةً وَحُكْمًا ، وَقَهْرًا وَمَلَكًا ، وبأن
الشیطان هو أصل من أصول الحقيقة المحمدية ، وبأن أولئك الفواني اللاتي
سَرْنَ في التاريخ غَزَلَ فتنه ، ونسب صَبَوَات لم يَكُنْ سوى الله في
أجل مظاهره !!

كان قيس هو الله في مظهر ذكورة ، وكانت ليلي هي الله في مظهر
أنوثة . كان كل شيء هو حقيقة الله التي تنجلي في صور شتى ، شيخ عابد ،
وعرييد جاحد ، وملك كريم ، وشیطان رجيم . فالحقيقة الإلهية تجمع في جنبها
بين النقيضين وبين الضدين ، وبهذا تنعدم التفرقة بين الحقائق المتباينة ، أو
تلتقي المتناقضات كلها في حقيقة سموها : الحقيقة الإلهية ، أو الحقيقة المحمدية التي
هي حقيقة الوجود ، وحقيقة العدم ، الوجود المطلق ، والوجود التمين ، الخير
والشر ، الإيمان والكفر ، الحق والباطل ، الصدق والكذب ، وفي التمين
البشرى هي : نوح ويعقوب ، وهي موسى وفرعون ، وهي أبو بكر وأبو جهل !!

بين هذه الفهوم تناوحت صور الحقيقة المحمدية ، أو صورة الوهم الذي اقتروا
له اسم محمد ، وبهذا النباح تجاوزت الكلاب الشاردة ، لعالمها تطنى به على
النعمة العلوية التي تمجد محمدًا ، وهو على قمة البشرية ، يشع بأنوار العبوة الخاتمة .

إن هؤلاء وأولئك عبْدُ شياطين نَزَّتْ بهم أحقادهم ، فإذا هي تدق بهم
كل باب من أبواب جهنم .

وإن استبدت بالكاتب عبادته لعقله في قصوره وتقصره تردت به في

هوة سحيقة ، وهو يحسب أنه يرقى معارج السماء ! .

إنه نزاع إلى إخضاع كل شيء في وضوح الشهود ، أو في سرائر الغيب لمقاييسه العقابية ، أو — بتعبير أدق — لهواه يَبْقَى بالفتننة الخَلُوب ، فالخير هو ما يرى ، أو ما يشعر أنه خير ، وكذلك الشر ، وكذلك الحق والباطل ، وإن يَكُ كُلُّ ذلك في مقياس الحقيقة مناقضاً لرؤيته ووجدانه .

مثل هذا المُنْتَرَفِ بعبادة العقل ، أو المسرف في الجحود ينظر إلى محمد ، وكأنما هو بشر بلا نبوة ، أو آدمي هوأه يقود توازغ حِسِّه ، ويبطش بعواطف نفسه ، وبهذه النظرة يرى في محمد ما يرى الكفر في الإيمان ، وما يرى الخبث في الطيب ، وما يرى الحقد في النعم المتلاثلة الوسامة ، الناضرة الجمال .

ويقول عنه عين ما تقول المدلوة في جهالتها وحقاقتها وضلالتها المركومة ، ويسخر في أعماقه التي تفتح فيها أفاعية من قولنا : صلى الله عليه وسلم .

ونحن المسلمين نعوذ بالله من هؤلاء الذين أسرفوا في التجريد والجحود والحقود ، ومن أولئك الذين أسرفوا في العشق ، وعاشوا أنصاه ، فأوا الوجود كاه أنوثة تافح بالحرمان والصدود ، حين استبد بهم غرام جسدي لم يبرد لهم أواما ، ولم يُنْد منهم غليلا . ولم يَقْرَّ بِهِم في سكن .

فكان هذا التصور لمحمد ، وكان هذا التصوير منهم للحقيقة .

إن الكتابة عن الرسول — صلى الله عليه وسلم — تفرض علينا أن نكون على بينة من الكتاب والسنة ، وأن نجعل ما تقول حليفاً للحق ، وولياً للصدق ، وكذلك يفرض على كُلِّ من يتصدى لتحقيق كتاب عن خاتم النبيين .

ومن هنا تتجلى لنا خطورة الأمر وجلالته ! فقد خلف لنا أسلافنا تراثاً

مكتوباً عن النبي ، لا يوجد مثيله في أمة من الأمم كتبت تاريخ زعيم ، أو قائد أو بطل ، أو نبي هومنها في مكانة الشمس من الكون ، وفي الكثير مما خلف لنا الأسلاف من تراث مكتوب عن النبي لا نلح فيه شعاعة حقٍ إلا كما نلح ومضة البرق في الليلة الداجية زكمت آفاقها الظلمات ، فلقد خيل إلى أصحاب هذا التراث أن الكذب آية حب ، وأن محمداً لا يكون عظيماً إلا بما اقترت الصابية ليسوع ، فصوروا رسول الله في صورة بشر تستكن في أعماقه ربوبية قهارة خلقة ، تهيمن على مصائر الوجود ، وأقدار كائناته ، وتجمع بين أزل الوجود ، وأبده في معرفة لا يخفى عليها شيء !! وافتروا قصصاً ، وأحاديث هي نفاتح يهودية ، ومفتريات وثنية ، وضلالات صليبية ، ورددت أفواه وألسن في عديد من قرون التاريخ هذه القصص والأحاديث ، وتلقفت الأجيال - خلفها عن سابقها - كل ذلك ، وقد صنع التاريخ الكذوب لمن افتروا هذه الأكاذيب ، أو لمن رددوها عن بلاهة عروشا نسجد تحتها أفكار أجيال وأجيال ، وتهطع في قنوت يأخذ منها كل العمر ، فتسخر لتمجيد تلك الأكاذيب كل فكر ولسان وقلم ، فصار قريتنا للمستحيل أن يفكر اسهواً في نقد شيء من تراث أولئك الأسلاف بشروح هؤلاء الأخلاف ، وصارت هذه الترهات التي يمجها حتى الباطل لعوارها - تحتال وكأنها درر حقائق تتلألأ بنور الوحي ، بل صارت ، وهي أحب ما يعشق الناس مما كتب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصارت مكانة أربابها كالزجر القاصف ، والردع العاصف لمن يهجمهم المس بكلمة حق ينقذها تلك الضلالات . والمسلم الذي يحاول أن يجلو للناس سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - على نور من القرآن وهدى من الأحاديث الصحيحة . تجلده وقد تفجرت في وجهه حمم ، ودوت في سمعه رعود ، وألوف الألسنة نهتة بالسوء ، وهي التي لم تطب لحظة بذكر الحق . إن الباطل الذي سخر هذه الألسنة ، وزكم بطون أربابها بسخته لا يجب أن يعرف الناس أنه باطل ،

لأنه بما هو عليه في عقول عبیدی الخرافة يمش مسجوداً له ، معبوداً تساق إليه
حُرُّ النَّعَمِ ، وتحتشد الدنيا في باحاته وساحاته بكل ترَفِها وزينتها فسوقها
وشهواتها !! .

إنهم يريدون منه أن يقول ما قال الإشراقيون من الصوفية عن محمد
الموهوم : إن محمداً هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن . أن يقول عنه ما يقول
نمقة « الموالد » ونبحة المناوي !! « لولاه ما كان ملك الله منتظماً » !! .

أو مقاله الوضع الأفلاك الذي افتري أن الله قال لمحمد : « لولاك ما خلقت
الأفلاك » .

أو مقاله البوصيري :

فإن من جودك الدنيا وضررتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

وإذا كانت الدنيا والآخرة بمض كرم الرسول ، فإذا بقي لله؟ وإذا كان
علم اللوح والقلم بمض علم محمد ، فإذا بقي لله؟ .

يريدون منه أن يؤمن ، وأن يحمل الناس على الإيمان بأن محمداً حي في قبره
لم يميت ، وأن أعمالنا عليه تعرض ، يريدون منه أن يعتمد بلا وهم ريبية في أن
قبر محمد خير وأفضل من عرش الله . والذين يريدون حمله على هذا لا يعرفون
عما جاء به محمد شيئاً . مدى معرفتهم أنه خلق من نور ، وأن المصحف لا يجوز أن
يمس على غير طهارة !! أما عن نبوة محمد ، أما ماذا في المصحف من هدى؟ أما
هذا النور والحق والحياة فهم عنه عمون !!

بل إنهم في كثير مما تعرفه الحياة عنهم لا يذكرون محمداً إلا حين يرون
عراس «المولد»، وثمت ترى على الشفاه غمغمةً وهممةً!!

وقد يُخيَّل إليك أن هذه صلوات وسجديات، وماهى إلفات من حم
شهوات!! . فماذا فعل، لنكتب الحق؟ .

أجبن عن المتاف الروحي الجميل بالحقيقة خشية هؤلاء اللذنين بالوعيد
الكنود، والفتنة الحقود؟ .

أندهن كما يدهنون مخافة أن يُعربِ دُعائنا الباطل بهتانه وعدوانه، أو يقترف
ضدنا المكر السيء!!؟ .

إن إيماننا بالله، وبرسوله — صلى الله عليه وسلم — لأكرم وأعز من أن
نُذله لدعاة إلفك، وكهنة الزور، أو أن نرغمه على الاستخذاء في سبيل الوصول
إلى غرض دون هو: النجاء من سلاطة جاهلية جاحدة، أو سفاهة وثنية
حاقدة، وإن الحق الذي يجعل من الحياة شيئاً جميلاً وعظيماً، لأسمى من أن نأذن
لهذا الركام الأسود من الأساطير أن يزحف على أفق ضياء الحق، لالشيء سوى
أن نكون مع رذغة الأكرثية في تلطخ نتن!!

والله يهدينا بهوله: (وما أكرث الناس ولو حرصت بمؤمنين) يوسف: ١٠٣
(وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله). الأنعام: ١١٦

ثم إنى أتساءل: هل تحتاج مكانة الرسول — صلى الله عليه وسلم —
إلى أن ندعها بالأكاذيب، حتى تؤيد أو نردد كل أكدوبة اختلقت؟

إن الذي يزعم هذا كالذي يزعم أن الحق في حاجة إلى الباطل، وأن الصدق

محتاج - في تأييد الناس له - إلى الكذب ، وأن الإيمان يريد سنداً من الكفر ،
وأن الخير فقير إلى الشر ؛ ليهب له في الحياة مكانته .

إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - كالشمس لا تحتاج إلى دليل يثبت أنها
بزغت سوى أن تراها وهي بازغة بحسب ، ومكانته أجل من أن تقترف
الكذب لنثبت به أنه صدوق . إن نوره يدل عليه ، ويثبت بلا برهان - سوى
تألقه وتوجهه - أنه حقا يضيء ، فلنقل عنه ما قاله ربه الذي خلقه في أحسن تقويم
لنقل : إنه ما كان بدعا من الرسل ، وإنه كان بشراً يوحى إليه .

ألا وإن حق القرآن هو الحق الأول ، فهو المهيمن على كل كتاب
جاء به البشر ، أو جاء به رسول الله من عند الله ، فلنعتصم به ،
ونحن نكتب ، أو ننقد ما كتب ، ليهب الله لنا الفرقان المبين . ولنحذر أن
تهيب اسماً يسحرنا تهيئته عن الصواب ، أو ندعن لسلطان ما يخادعنا ، ليلوينا
عن الحق .

وبهذه الروح أقبلت على تحقيق كتاب «الروض الأنف» (١) وفي فكري ،
وعلى قلبي حفاظ قوي على النص ، وإن وجدت فيه ما يخالف بعض ما أرى
أنه مجانب للحق ، وقد احتشدت لهذا الكتاب بكل ما أملك من جهده ،
لا أزعم أنه عظيم ، وإنما أزعم أنه كل ما أملك . وقد لقيت في سبيل تحقيقه
ما لقيت من مشاق لا أمن بها ، وإنما أضرع إلى الله أن يكون لها عند الله
حسن الثوبة ؛ فما يكون الثواب إلا على ما يرضيه سبحانه .

(١) في اللسان روضة أنف : لم يرعها أحد ، أو لم توطأ . وكأس أنف : لم
يشرب بها قبل ذلك كأنه استوفى شربها مثل - روضة أنف ، ويريد السبيل
بهذه التسمية أن يؤكد أن كتابه هذا لم يولف أحد مثله من قبل .

الروض الأنف : وكتاب الروض الأنف - كما ذكر مؤلفه في مقدمته - هو : « إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي سبق إلى تأليفها أبو محمد بن إسحاق المطالي ، وخلصها عبد الملك بن هشام للمعافى المصرى النسابة النحوى مما بلغنى علمه ، ويسر لي فهمه من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فاته التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته » إلى أن يقول : « تحصل في هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه الباطن اللباب ، وتلليل النحو ، وصنعة الإعراب ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديواناً سوى ما أنتجه صدرى » .

وهو جهد بارع صادق بأن الرجل كان إماماً في فنون عصره . فهو المحدث التقيقه النسابة اللغوى النحوى (١) المفسر المؤرخ الآخذ من كل فنون عصره بنصيب وفير . وقد لام بين فنون معرفته ، حتى جعل منها وحدة يصدر عنها في كل ما يكتب ، ومما يزيدنا إعجاباً بالرجل أنه قد بصره ، وأن الكتب كانت في زمانه مخطوطة ، فمتى طالع كل هذا ؟ وكيف طالعه ؟ وتراته يشهد له بأنه استوعب كل ما قرأ ، وبدت سعة اطلاعه ، ونفاذ بصيرته وقوة تفكيره في أكثر ما كتب .

ومما يجعلنا أيضاً شديدي الاحترام للرجل - رغم ما وجدت عنده من خرف - هذه الحقيقة التي تظلمت في كتابه : إنها الأمانة الصادقة في النقل ، وفي نسبة كل شيء .

(١) انتفع بمادته كثير من جاءوا بعده ، ولا سيما ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد . ولكنه كان كما يقول ابن مضاء القرطبي ، كان صاحبنا الفقيه أبو القاسم السهيلي - رحمه الله - يولع بعلل النحو الثواني ويخترعها ويعتقد ذلك كالألف في الصنعة وبصرها ، ص ١٦٠ كتاب الرد على النحاة .

إلى قائله ، فلم يأت بزيادة مقترانه ، أو يقترف في نقله نقصا قد يغير من مفهوم القول ، وقد راجعت أعظم ما نقل ، وقايسته على مصادره ، فلم أجد إلا طهر الأمانة ، ونبيل الصدق في كل قوله ، غير أنه كان لا يميل إلى نقد ما ينقل إلا حين كان يجد النص معارضا لما يدين به ، لهذا نراه ينقل ما يتفق مع الحق ، وما لا يتفق في بعض أحيانه .
ينقل ما يلمع بنور الحقيقة ، وينقل ما يمكن فيه خبث الباطل من رأى فطير أو حديث سنده أوهى من بيت العنكبوت ، ومعناه كيد دنيء من طاغوت .

عملي في الكتاب :

طبع هذا الكتاب من أكثر من نصف قرن ، وقد بذل المشرف على طبعه كثيراً مما كان يبذل . غير أنه أغفل كثيراً من الأخطاء الطبيعية وغيرها ، ولم يكتب رقم آية ، ولم يخرج حديثاً ، ولم يضبط كلمة ، ولم يعاق بشيء سوى بضع كلمات ، فتمت بما يأتي :

أولها : ضبط مئات الأعلام التي وردت فيه ، وقد رجعت في هذا إلى أهم ، كتب الأنساب ، وإلى اللسان والقاموس كما ضبطت ألوف الكلمات ، وقد لقيت في هذا عنقا كبيراً ومشقة مضنية .

ثانيها : مراجعة نقوله التاريخية واللغوية في المصادر التي أشار إليها كتاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي ، وأشارت إلى مكانها من الكتب . أما اللغويات فراجعتها في اللسان والقاموس ومعجم ابن فارس والأشتقاق لابن دريد ومفردات الراغب والنهاية لابن الأثير وغيرها .

ثالثها : راجعت ما نقله عنه المؤرخون وأصحاب السير للمقارنة بين ما هو في كتابه ، وبين ما نقلوه هم عنه ، مثل ابن كثير في البداية ، وابن خلدون

في تاريخه ، والقسطلاني في المواهب ، والحلبي في سيرته ، والحافظ ابن حجر في الفتح .

رابعها : راجعت وصوتب الأنساب التي ذكرها في أهم كتب النسب ، وقد أشرت إليها في تعليقاتي .

خامسها : راجعت الترجمات التي ذكرها للصحابة في الإصابة لابن حجر وغيرها .

سادسها : أشرت إلى مراجع عشرات الأحاديث التي ذكرها ، وإلى ما قيل عنها في كتب الأحاديث .

سابعها : ترقيم الآيات القرآنية ، وإتمام ما ذكره منها مبتوراً .

ثامنها : التعليق على بعض ما ذكره من مسائل النحو العويصة ، ومراجعة هذه المسائل في مصادرها الأصلية ، والمقارنة بينها وبين ما نقله الإمام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » من هذه المسائل . والرجل — أعنى السهيلي — كان شديد الولع بمسائل النحو .

تاسعها : قمت بالتعاقب على ما ذكره ، أو رآه في أمر الدين مما رأيت مجافياً للحق ، فكانت هذه التعليقات التي أضرع إلى الله أن تكون حقاً وصواباً .

ولقد كان الرجل أشعري المقيدة - والأشعرية كانت دين الدولة في أيامه - فأشرت في تعليقاتي إلى ما يجانب الحق القرآني مما ذهب إليه ، وذكرت ما آمن به سلفنا الصالح ، وما قالوه عن صفات الله سبحانه .

عاشرها : راجعت ما ذكره من شواهد شعرية وأمثال وغيرها في مصادره الأصلية أو في اللسان ، وضبطت كل هذا ضبطاً دقيقاً .

حادى عشرها : قمت باستعمال علامات الترقيم ، وهناك غير ذلك مما قمت به ، وأسأل الله أن يكون لوجهه — جل شأنه — وأن يجزينا عنه . كان من الممكن أن يكون الجهد المبذول أقل مما كان ، غير أنه كتاب عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن القرآن الكريم ، ونبية العظيم ، وقد توعدنا بالنار نَدَبُوا نَدَبُوا منها مقعدنا إن تعمدنا عليه كذباً .

وأعتقد أن الكتاب وما ذكرته معه — أصبح شيئاً يمكن الاعتماد به فيما يقال عن خاتم النبيين — صلى الله عليه وسلم — غير أنى لا أؤم أنى بلغت كل ما كان يجب أن يبلغ ، وإنما أؤم أنى بذلت كل ما كنت أملك من جهد أسأل الله أن يكون جهداً يكافىء هذه المهمة الجليلة .

وأرجو ممن يعثر على أخطاء أن يذكر أننا بشر ، والسهو والنسيان والخطأ من خصائص البشرية ، وكما نحب أن يعفو الله عن أخطائنا وينقرها لنا ، فإننا نحب أن يعفو عنا القراء ، حين يعثرون على خطأ أحب أن يتقوا فى أنى لم أتعلمه .

السيرة :

وقد رأيت — كما رأى الناشر — أن يكون مع الكتاب نفس سيرة ابن هشام التى ألف السَّهْبِيّ كتابه الروض شرحاً لها ، ليكون النفع قِيماً . والسيرة من عمل ابن إسحاق وروايته عن شيوخه وغيرهم ، ولكن ابن هشام عكف على هذه السيرة بالتهذيب حتى وصارت إلى ما هى عليه الآن . وقد لخص عمله فيها بقوله :

« وأنا — إن شاء الله — مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ،

ومن ولد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من ولده ، وأولادهم لأصلاهم
الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يعرض من
حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار ، إلى
حديث سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق
في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه ذكر ،
ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا
تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها
لم أرَ أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث
به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي^(١)
بروايته ، ومستقص - إن شاء الله تعالى - ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ،
والعلم به »

ولهذا الجهد الذي بذله ابن هشام اشتهرت السيرة بالانتساب إليه ، حتى كاد
ينسى صاحبها الأول ، وهو : محمد بن إسحاق ، والله أسأل أن يهيء لنا من أمرنا
رشداً ، وأن يعين كل امرئ على القيام بما فرض الله عليه ، وأن يجمعنا نحن
أبناء هذه الأمة على كلمة سواء ، ولها ما كان من مجد وسؤدد ، ودولة تجمش

(١) هو زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري أبو محمد البكائي الكوفي ، والبكائي
نسبة إلى البكاء بن عمرو بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية تركه ابن المديني ،
وضعه النسائي وابن سعد ، وقال أبو زرعة : صدوق ، وقال أبو حاتم : يكتب
حديثه ، ولا يحتج به ، ولكنه من أثبت الناس في سيرة ابن إسحاق ، وقال أحمد :
ليس به بأس مات سنة ١٨٢ هـ

فيها من « كسفر على حدود الصين إلى جبال البرانس على مشارف فرنسا »
تكبيرات النصر، وتسبيحات الشكر، وصلوات الحمد لله رب العالمين (١)

القاهرة — مدينة الزهراء

حلوان

عبد الرحمن الوكيل

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

(١) سنن سيرة ابن هشام في أعلى الصفحة، وتحتها الروض الأنف، ثم

ترجمة ابن إسحاق

محمد ابن إسحاق بن يسار المَطْلَبِي مولى قيس بن مخزومة أبو عبد الله المدني أحد الأئمة الأعلام، ولا سيما في المغازي والسير رأى أنس بن مالك. وجدّه يسار كان من سبي عين التمر التي افتتحها المسلمون في السنة الثانية عشرة من الهجرة .

وقد ولد ابن إسحاق في المدينة، والراجح أنه ولد سنة خمس وثمانين من الهجرة، وتوفي - كما يقول صفى الدين الخزرجي - سنة إحدى وخمسين ومائة . وقيل : (١٥٠ أو ١٥٣) وهو الذي ألف السيرة المشهورة النسبة إلى ابن هشام وقد ألفها بأمر أبي جعفر المنصور ؛ ليعلمها لابنه المهدي ، وفي هذا يقول ابن عدى : « ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء ، للاشتغال بمغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومبعثه ومبتدأ الخلق ، لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق ، وقد فنشت أحاديثه الكثيرة ، فلم أجدها تهيء ، أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ واتهم في الشيء بعد الشيء ، كما يخطئ غيره .

ولم يتخلف في الراوية عنه الثقات والأئمة ، أخرج له مسلم في المبايعات واستشهد به البخاري في مواضع ، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقد روى هو عن أبيه وعن الزهري وخلق غيرهم ، ومن روى عنه شيخه يحيى الأنصاري ، وعبد الله بن عون وشعبة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة .

الرأى في ابن إسحاق : أثار ابن إسحاق خلافا كبيرا حوله بين رجال